﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾ [البقرة: 86]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا بيّن اللّٰه أوصافَ بَني إسْرائيلَ وأفعالَهم القبيحةَ في تَعاملِ بَعضِهم مع بعضٍ، ناسبَ ذلك أنْ ينتقلَ مِن بيانِ الأفعالِ التي هيَ نتائجُ الأسْبابِ، إلى التَّنبيهِ بالأسْبابِ نفسِها، وهيَ اشْتِراءُ الحياةِ الدُّنيا، وتَقْديمُها على الآخِرَةِ؛ ليزولَ العَجَبُ، ويتَحَقَّقَ الأمرُ على وجهِهِ الحَقيقيّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾: أصلهُ (شَرَوَ)، قُلِبَت الواوُ ألفًا لتَحَرُّكِها وانفتاحِ ما قَبْلَها، ويَدُلُّ الشِّراءُ عَلَى تَعَارُضٍ مِنَ الاثْنَيْنِ في أَمْرَيْنِ؛ أَخْذًا وإعْطَاءً مُمَاثَلَةً، وشَرَيْتُ الشَّيْءَ وَاشْتَرَيْتُهُ: إذَا أَخَذْتَهُ مِنْ صَاحِبِهِ بِثَمَنِهِ. والشِّرَاءُ والبيع يَتَلازَمان؛ فَالمُشْتَرِي دافعُ الثّمن، وآخذُ المُثْمَن، والبائعُ دافعُ المُثْمَن، وآخذُ الثَّمن، ولَفْظُ البَيْع والشِّراءِ يُسْتَعمل كلُّ واحدٍ منهما في مَوضِعِ الآخَرِ. وشَرَيْتُ: بمعنى بِعْتُ -أكثَرُ-، واشْتَرَيْتُ بمعنى: ابتَعْتُ -أكثَرُ-؛ فيكونُ شَرَيْتُ مِنَ الأضدادِ، والسِّياقُ يُحَدِّدُ أَحَدَ المَعْنَيَيْنِ[1].

2) ﴿يُخَفَّفُ﴾: أصل الكَلِمَة (خَفَفَ)، ويَدورُ المَعْنى على: قِلَّةِ كثافةِ الشَّيءِ في نفْسِهِ، أو قِلَّةِ كثافَتِهِ وتَرَكُّزِهِ على حامِلِهِ، والخفّةُ تُخَالِفُ الثِّقَلَ وَالرَّزَانَةَ، وتخفيفُ العذابِ يقابِلُ ثِقَلَهُ[2].

3) ﴿يُنصَرُونَ﴾: أصل الكَلِمَة (نصر) ويَدورُ المَعْنى عَلَى: إتْيَانِ خَيْرٍ وَإِيتَائِهِ. يقال: نَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ؛ بمعنى: آتَاهُمُ الظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ. والنصر: العَوْنُ؛ قال تعالى: ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ [الصف: 13]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: 1]، وَالانْتِصَارُ والاسْتِنْصَارُ: طَلَبُ النَّصْر أي العَوْنِ، والتَّناصُر: التَّعاون عَلَى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (شرى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خفف).

النَّصْر. وتَناصَرُوا: نَصَر بعضُهم بَعْضًا، والنَّصِير فَعِيلٌ بِمَعْنَى فاعِلٍ أو مَفْعُولٍ، لأَن كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ المتَناصِرَيْن ناصِرٌ ومَنْصُورٌ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أخبَرَ اللهُ عن السَّبَبِ الذي دَفَعَ أولئِكَ اليَهودَ إلى أنْ يَنْقُضوا الميثاقَ ويَفْعَلوا الأفْعالَ القَبيحَةَ، وهو اشْتِراءُ الحياةِ الدُّنيا مِن مالٍ وجاهٍ ورَغْبَةٍ في المَغانِمِ الزَّائِلَةِ في مقابلِ الآخرَةِ التي فيها نَعيمُ الجنَّة ودَوامُها. والذين يؤثرون الحياة الدُّنيا على الآخِرَةِ لا يُخَفَّفُ عَنْهُم العَذابُ يَوْمَ القيامَةِ، فلا يَقِلُّ ولا يَنقطعُ، وَلَيْسَ لَهُمْ نَاصِرٌ يُنْقِذُهُمْ بقُوّتِهِ أو بِشَفاعته مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ الدَّائِمِ[2].

وفي الآية حثٌّ على تَجَنُّبِ المعاصي وتَرْكِ المَنْهِيّات، وفيها "تَنْبيهٌ على أنَّ الجَمْعَ بَينَ تَحْصيلِ لَذَّاتِ الدُّنيا إذا كانت على وَفْقِ الهَوى لا الشَّرعِ، وبَيْنَ لَذَّات الآخِرَةِ مُمْتَنِعٌ يَسْتَتبعُ وجودُ إحداهما عَدمَ الأُخْرى"[3].

بَراعَةُ الاستِهْلالِ بِاسْمِ الإشارَةِ:

الإيجازُ وتَمْييزُ المُشارِ إليهِ أَكْمَلَ تَمْييز

دلّ اسمُ الإشارةِ على جَميعِ أوصافِ اليَهودِ المَذكورَةِ في الآيات السَّابِقَةِ؛ فبَدَلًا من إعادَةِ أوصافِهِمْ، أوْجَزَ النَّظْمُ ذلكَ باسْمِ الإشارَةِ، كما أنَّهُ مَيَّزَ الذّاتَ مَعَ الأوصافِ أكمَلَ تَمْييزٍ؛ لأنَّ الأصْلَ في استِعمالِ اسْمِ الإشارَةِ أنَّه يُمَيِّزُ الذّاتَ أكملَ تَمْييزٍ، فاسْتُعْمِلَ ليُشارَ بِهِ إلَى الَّذينَ جَمَعُوا الأَوْصَافَ السَّابِقَةَ الذَّميمَةَ[4].

بَلاغَةُ الفَصْل:

تَعْيينُ العِلَّةِ للأغْمالِ، وتَفْسيرُ ما تَقَدَّمَ وبَيانُهُ

فُصِلَتِ الجُمْلَةُ عمَّا قَبْلَها؛ إمَّا لِكَمالِ الاتِّصالِ، وإمَّا لِشِبْهِ كَمالِ الاتِّصالِ، فإذا حَمَلْناها على كَمالِ الاتِّصالِ تَكونُ بَيانًا وتَفْسيرًا للآيَةِ السَّابِقَةِ، أي فَعَلَ اليهودُ ما فَعَلوا اشتِراءً للحَياةِ الدُّنيا، وإذا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (نصر).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/212.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 1/328.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/473.

حَمَلْناها على شِبْهِ كَمال الاتِّصالِ، فهي على تَقْديرِ سؤالٍ صادرٍ عن سائِلٍ: لماذا فعلوا هذه الأفعال القبيحة؟ وما السَّبَبُ الذي ألجَأَهُم لَها؟ وما مَصيرُهُم يومَ القِيامَةِ؟ فجاء قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِ﴾، جوابًا عن السُّؤالِ؛ بتَعيينِ سَبَبِ الأعْمالِ الّتي قاموا بها، وهو حُبُّهم للدُّنْيا، ورَغْبَتُهم فيها وإيثارُها على الآخِرَةِ[1].

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ التَّصْريحِيّةِ التَّبَعِيّةِ:

التَّصْريحُ بِلَفْظِ الـمُشَبَّهِ بِـه؛ لِبَيانِ الرَّغْبَةِ لَدى الْمُسْتَبْدِلِ الدُّنْيا بِالآخِرَة

استُعيرَ الاشْتِراءُ للاخْتِيار والإيثار، بِجامِعِ الفائِدَةِ للشِّراءِ وللاخْتِيارِ، ثم اشْتُقَّ من الاشتراءِ الفعلُ ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾ بمَعنى آثَرُوا واختارُوا؛ لتَكونَ الاسْتِعارةُ تَبَعِيّةً، والقَرينَةُ هيَ (الحياةُ الدّنيا والآخِرَة)، لأنَّهما ليستا محلَّ الشِّراء، إذْ لم يقعْ شراءٌ حقيقيٌّ بين الدُّنيا والآخرة، واخْتِيرَت كَلِمة المشبَّه به (اشْتَرَوا) ولم يُقَلْ: (اسْتَبْدَلوا أو آثَرُوا أو اختارُوا)؛ لِأَنَّ الشِّرَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا يُحِبُّهُ مُشْتَرِيهِ، فهم كانوا يَفْعَلون أفعالَهُمُ القَبيحَةَ حُبًّا لَها ورَغْبَةً فيها، فكَأَنَّهم كانوا يَدْفَعون نَعيمَ الآخِرَةِ الدّائِمَ ثَمَنًا لرَغَباتِهِمْ وجاهِهِم في الحياة الدّنْيا؛ فاسْتُعْمِلَت كلمة (اشْتَروا) مَجازًا لُغَوِيًّا؛ لِأَنَّ الشِّرَاءَ وَالتِّجَارَةَ رَاجِعَانِ إِلَى الِاسْتِبْدَالِ، وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَنِ اسْتَبْدَلَ شَيْئًا بِشَيْءٍ[2].

دلالة حَرْفِ الباءِ:

التَّفْريطُ في الآخِرَةِ بَعْدَ القُدْرَةِ عَلى تَحْصيلِها، بَيْعٌ مَغْبونٌ

أفادتِ الباءُ مَعْنى المُقابَلَة، وتُسمّى باءَ العِوَضِ، وإذا أُدْخِلتِ الباءُ في المَبيعِ أو المُشْتَرَى فتُوضَعُ الباء في الثَّمَن، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: 20]؛ لأنَّ الدّراهم ثَمَنٌ أبدًا، والباءُ إنَّما تَدْخُل في الأثْمانِ[3]، وهُمْ قد جَعَلوا الآخِرَةَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/14، ومحمد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/310.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/210.
(3) الفراء، معاني القرآن: 1/30.

ثمنًا مُقابِلَ ما حَصلوا علَيهِ في الحَياةِ الدُّنْيا مِنَ المَلَذَّات والعَرَضِ الفاني، ودلَّتِ المُقابَلةُ على أنَّهم كانوا قادِرينَ على تَحْصيلِ نَعيمِ الآخِرَةِ؛ لأنَّ دَفْعَ الثَّمَنِ المُعَبَّرِ عَنْهُ بـ(الآخرة) يَقْتَضي أنْ يَكون حاصِلًا وقتَ الشِّراءِ.

دِقَّةُ التَّعْبيرِ بِمُفْرَدَةِ التَّخْفيف:

صِحَّةُ اجْتِماعِ عِدَّةِ مَعانٍ تُقابِلُ التَّخْفيف؛ لِمَزيدِ التَّهويلِ والتَّرْهيبِ

للتَّخفيفِ اعتباراتٌ مُخْتَلِفةٌ؛ فالخِفَّةُ تكون بإزاءِ القُوَّةِ (الشدَّة)، والدَّوامِ، وما تَسْتَثْقِلُه النَّفْسُ ولا تَتَحَمَّلُه، ويُمْكِنُ اجْتِماعُ هذهِ المَعاني في قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾[1]؛ لأنَّ النَّفي يَسْتَوْعِبُ أكْثَرَ من مَعْنًى من مَعاني الإيجابِ؛ فكانَ اخْتِيارُ هَذِهِ الكَلِمَةِ دَالًّا على المُرادِ في هذا النَّظمِ. ويُفهَمُ مِنْ نَفْيِ التَّخْفيفِ أنَّ العذابَ ثَقيلٌ عَليهِمْ، بالدَّوامِ وعدمِ الانقطاعِ، كما جاءَ في قولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 49]، ويكونُ بِقُوَّةِ العَذابِ وشِدَّتِه، ويَكونُ بِما يَثْقُلُ على النَّفسِ فلا تَتَحَمَّلُه، وهذه المَعاني صَحيحَةٌ مُرادَةٌ في العَذاب المُعَدِّ لهُمْ يَوْمَ القِيامةِ.

بَلاغَةُ الوَصْلِ بَيْنَ الجُمَلِ:

دَفْعُ أوْهامِ الأَفْهامِ في وُجودِ ناصِرٍ يَوْمَ القِيامَةِ

عُطفتْ جملةُ: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بجملة: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ لأنَّ نَفْيَ تَخْفيفِ العَذابِ لا يَسْتَلْزِمُ ألَّا يَكون لهم ناصِرٌ فيما قَدْ يَتَصَوَّرُهُ ذِهْنُ المُخاطَبِ؛ فنَفَى اللهُ تَعالى الأمْرَيْنِ لِكَيْ يَقْطَعَ عنْهُم كلَّ سَبيلٍ في الطَّمَعِ؛ فتَنْصَرِفَ هِمَمُهُمْ إلى العملِ الذي سيُنَجِّيهم بتوفيق اللهِ تعالى.

أثَرُ صورَةِ الإسْنادِ في تَقْوِيَةِ الحُكْمِ:

تَأْكيدُ الخِطابِ لِلشَّاكِّ أو لِتَنْزيلِهِ مَنْزِلَةَ الشَّاكِّ

جاءَ المسندُ إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: (هم)، والمسند جملةً فعليَّةً (ينصرون)؛ لتَقْريرِ نَفْيِ النَّصيرِ وتَحْقيقِهِ

(1) الرازي، التّفسير الكبير: 3/594.

وتَقْوِيَتِهِ[1]؛ فإنَّ هذا التركيبَ أقْوى حُكْمًا ومَعْنًى مِنْ أنْ يَقولَ: (فلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذاب ولا يُنْصَرون)؛ لأنَّ المُسْنَدَ إليهِ تَكَرَّرَ بالضّميرِ (هم)، وبالضَّميرِ المُتَّصِلِ بالفِعْلِ (واو الجماعة)، وتَكْرارُهُ مُؤْذِنٌ بتَكْرارِ المُسْنَدِ، ولا يَكون ذلِكَ إلّا إذا كان المُخاطَبُ شاكًّا في مَضمونِ الخِطاب، أو مُنَزّلًا منزلةَ الشَّاكِّ، وقُدِّم المسندُ إليه؛ "لِرِعايَةِ الفاصِلَة والتّقَوّي، لا للحَصْرِ، إذ لَيْسَ المَقامُ مقامَهُ، ولذا لم يُقَل: (فلا عَنْهم يُخَفَّف العذابُ)"[2].

فائِدَةُ التّعْبيرِ بِصيغَةِ المَبْنِيِّ للمَفْعولِ:

تَعْظيمُ المَوْقِفِ وتَهْويلُ المَشْهَدِ

جاء فِعْلا التَّخْفيفِ والنَّصْرِ مَبْنِيَّيْن للمَفعولِ، وذلِك لِقَصْدِ إبهامِ الأمْرِ وتعظيمِ الموقف؛ فإنَّ عدمَ التَّصريحِ بالفاعلِ مِنْ شَأْنِهِ تَهْويلُ المَشْهَدِ، وتَفْخيمُ الحَدَثِ، لاسِيَّما أنَّ الأمرَ مُرْتَهِنٌ بالعَذابِ.

(1) السّكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 217.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/315.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»